الكتمان؟ أو يكونوا أنساهم إيّاها الشيطان، فذاك إذاً إلى حين، حتّى يتكشّف الزمن عن أسرارها، وتنتفض في ذاكراتهم بالحياة ما أن يجيء النبي الموعود. أو يكونوا رأوها تهاويل أقاويل زيّفتها ادّعاءات الكهّان، فكيف ولهم بالكهانة إيمان راسخ يسلكها في الحقائق المقرّرة التي تنأى بها عن مظنّات الادّعاء؟ قيل: والكهانة أصلها نفسي، وهي تكون في العرب على الأكثر، وفي غيرهم على وجه الندرة، تتولّد على صفاء المزاج الطبيعي، وقوة مادة نور النفس، وتتعلّق بصفة النفس، وقمع شرّها بكثرة الوحدة، وإدمان التفرّد، وشدّة الوحشة من الناس، وقلّة الأُنس بهم. فإذا تفرّدت النفس فكّرت، وإذا فكّرت بَعُدَت، وإذا بعدت لحظت بالنور الثاقب، وربما قويت فأشرفت على دراية الغائبات، واستخرجت أخبار المستترات. وكيفما نظر إليها، فلقد كانت من العرب قبل الرسالة النبوية بمقام يقين، وكم احتوى تراثهم من ذكر كهّان وكاهنات، ذاع صيتهم على القرون إذ تنبّأوا بوقائع ذات خطر، ذكرت آثارهم أن قد صدّقتها الأيام. * * * سطيح[396] الكاهن هناك «سطيح» الكاهن، الذي كان عجباً في خلقه، جسمه كتلة من لحم، ليس له أعضاء ولا جوارح، وما به من عظم إلاّ َ قشرة رقيقة هي أعلى جمجمته.